قال تعالى : {يايحيى خُذِ الكتاب بِقُوَّةٍ} [مريم: 12]

هذه وصية الله ليحيى عليه الصلاة والسلام، خذ الكتاب أي التوراة لأن زكريا ويحيى من أنبياء بني اسرائيل، خذه بقوة وليس المقصود أن تمسكه بكلتا يديك وإنما المقصود خذه بقوة يعني خذه بجد وقوة وعزم وحزم لا متساهلاً ولا متكاسلاً ولا متثاقلاً بل تأخذه بقوة .

يقول الشيخ الشعراوي:

والقوة: هي الطاقة الفاعلة التي تدير دولاب الحياة حركةً وسكوناً .....

القوة إمّا أنْ تُحرِّك الساكن أو تُسْكِن المتحرك وتصده، ومن ذلك ما نراه في السكك الحديدية من مصدَّات تُوقِف القطارات؛ لأنك إنْ أردتَ أن توقف القطار تمنع عنه الوقود، لكن يظل به قوة دفع تحركه تحتاج إلى قوة معاكسة توقفه، وهذا ما يسمونه قانون العطالة. يعني: إن كان الشيء متحركاً فيحتاج إلى قوة توقفه، وإن كان ساكناً يحتاج إلى قوة تحركه.

ومن ذلك قانون القصور الذاتي الذي تعلمناه في المدارس، وتلاحظه إذا تحركتْ

بك السيارة تجد أن جسمك يندفع للخلف؛ لأنها تحركتْ للأمام وأنت ساكن، فإنْ توقفتْ السيارة تحرَّك جسمك للأمام لأنها توقفت وأنت متحرك. إذن: هذه الأشياء التي تتحرك في الكون أو الساكنة نتيجة قوة.

فقوله تعالى: {خُذِ الكتاب بِقُوَّةٍ} [مريم: 12] لأن الكتاب فيه أوامر وفيه نَوَاهٍ، يأمر بالخير وينهاك عن الشر، فإنْ أمركَ بالخير وأنت لا تفعله تحتاج إلى قوة دَفْع تدفعك إلى الخير، وكأنك كنتَ ساكناً تحتاج إلى قوة تحركك، وإنْ نهاك عن الشر وأنت تفعله فأنت في حاجة إلى قوة تمنعك وتوقف حركتك في الشر.

والمنهج هو هذه القوة التي تُحرِّكك إلى الخير وأنت ساكن، وتُسكنك عن الشر وأنت متحرك.